مدخل الى مناهج البحث العلمي

إن موضوع البحث العلمي يقوم أساسا على طلب المعرفة و تقصيها و الوصول إليها، فالباحث عند دراسته للعلوم في مجموعها يستند إلى أساليب و مناهج تقصي حقائق المعرفة بغرض الوصول إلى إحداث إضافات أو تعديلات جديدة في ميدان العلوم ستعمل على تطوير و تقدم العلم و المعرفة يقول سبحانه و تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " آية 50. سورة المائدة [1]

فلكل علم من العلوم مادة ومنهج، ومادة العلم هي الظواهر التي يتناولها بالتحليل، أما منهجه فهو طريقة المعرفة التي يسلكها الباحث في سبيله إلى التعرف على حقيقة تلك الظواهر، فنقول مثلا :العلوم الطبيعية، ونعني بها المناهج العلمية التي تتناول بالتحليل الظواهر الطبيعية حال الفيزياء والأحياء وغيرهما، ونقول العلوم الاجتماعية ونعني بها المناهج العلمية التي تتناول الظواهر الاجتماعية بالتحليل[2].

- تعريف المنهج لغة

يعرف المنهج و جمعه المناهج Méthode: الطريق الواضح ، ونهج الطريق، بمعنى أبانه وأوضحه، ونهجه بمعنى سلكه بوضوح واستبانه.

فالمنهج هو الطريق الواضح المستقيم والبين والمستمر، للوصول إلى الغرض المطلوب أو تحقيق الهدف المنشود.كما يعني كيفية أو طريقة فعل أو تعليم شيء معين، وفقا لبعض المبادئ بصورة مرتبة ومنسقة ومنظمة[3].

- اصطلاحا

لقد وردت عدة تعريف في هذا الشأن وتباينت من التعريف البسيط إلى التعريف المعقد و من التقني إلى الفلسفي غير أن هذه التعاريف و إن اختلفت في صياغاتها لموضوع التعريف إلا أنها تتفق في أساسها على مكون التعريف .و المنهج عند أرسطو يقوم على أساسين :

الهيكل المنطقي: المسلمات – النتائج

الإجرائيان : المشاهدة – الاستنباط – المسلمات

أما ابن الهيثم فقد صاغ رؤية جديدة عندما قال: (إنني لا أصل إلى الحق إلا من أراء جوهر الأمور الحسية و صورة الأمور العقلية ، فهي تبنى بالمعقول و تقوم على المحسوس

---

[1] - ماثيو جدير ، منهجية البحث، ترجمة ملكة ابيض ،ص71.
https://www.academia.edu/40365609 ب، بتاريخ 2020/04/03 على الساعة 15:00.
[2]- المرجع نفسه ،ص71.
[3]- فاضلي ادريس،الوجيز في المنهجيةو البحث العلمي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2008،ص191.

فالمنهج بمعناه الفني العلمي والاصطلاحي الدقيق يقصد به " :الطريق الأقصر والأسلم للوصول إلى الهدف المنشود[1])".

أو أنه " :الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة[1].".

أو هو " :مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث مقدما لعملية المعرفة التي سيقبل عليها، من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها[2])".

كما عرف أنه " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، إما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون عارفين بها[2]".

فالمنهج عملية فكرية منظمة، أو أسلوب أو طريق منظم دقيق وهادف، يسلكه الباحث المتميز بالموهبة والمعرفة والقدرة على لإبداع، مستهدفا إيجاد حلول لمشاكل أو ظاهرة بحثية معينة.

و عليه على الباحث في شتى العلوم سواء كانت اجتماعية أو تجريبية التقيد بجملة الضوابط أثناء مساره البحثي في إطار ما يفرضه عليه المنهج المتبع مستعينا بالأدوات البحثية المتطلبة لنوعية دراسته ، و الغرض من ذلك الوصول إلى الحقيقة العلمية .

ـ خصائص منهج البحث العلمي[3]ـ

تشترك مناهج البحث العلمي على اختلاف أنواعها ، ومجموعة من الخصائص والميزات يمكن إجمالها بالآتي :

1- التنظيم في طريقة التفكير والعمل ، القائمة على الملاحظة والحقائق العلمية.

2- التسلسلية والترابط في تنفيذ خطوات البحث المتتالية.

3- الموضوعية والبعد عن الخصوصية والتحيز والذاتية والميول الشخصية.

---

[1]--ماثيو جدير، المرجع السابق، ص72.

[2]- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977،ص04.

[3]- عبد القادر مندو،منهجية البحث العلمي، ص52-ص53.

http://www.hama-univ.edu بتاريخ03-03-2020 .على الساعة 12:00.

4 – إمكانية اختيار نتائج البحث في أي مكان وزمان، باستخدام المناهج العلمية ولكن ضمن ظروف وشروط مماثلة، لحدوث نتائج الظاهرة المدروسة.

5– معالجة الظواهر أو الأحداث ، التي خضت عن ظواهر أو أحداث مماثلة .

6– القدرة على التنبؤ وضع تصور لما ستكون عليه الظواهر أو الأحداث ، قيد الدراسة في المستقبل.

– تصنيفات مناهج البحث العلمي

تختلف تصنيفات المناهج البحث العلمي كالتالي:

– التصنيفات الكلاسيكية لمناهج البحث العلمي[1]:

شكل القرن السابع عشرة منعرجا مهما في تاريخ تطور علم المناهج حيث انتقل مفهوم المنهج من مستواه النظري إلى المستوى التجريبي عن طريق فرنسيس بيكون فقد صاغ هذا الأخير قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح، و حاول ديكارت أن يكتشف المنهج المؤدي إلي السير بالعقل و البحث عن الحقيقة في العلوم في كتابه (مقال المنهج) و انطلاقا من ذلك يمكننا أن نصنف المنهج إلى:

– 1– المنهج التحليلي او منهج الاختراع والمنهج التركيبي:

المنهج التحليلي الاستكشافي أو منهج الاختراع، هو المنهج الذي يستهدف الكشف عن الحقيقة (اذا كنا جاهلين بها)، أما المنهج التركيبي أو ألتأليفي فهو يستهدف تركيب وتأليف الحقائق التي تم اكتشافها عن طريق المنهج التحليل.(البرهنة عليها إذا كنا عالمين بها) وذلك بهدف تعميمها ونشرها للآخرين.

و قد انتقد هذا التصنيف على أساس انه يتحدث عن الأفكار فقط، لا القوانين والظواهر، كما أنه لا يتلاءم وكافة فروع المعرفة.

–2– المنهج التلقائي والمنهج العقلي:

المنهج التلقائي هو المنهج الذي يسير فيه العقل سيرا طبيعيا نحو المعرفة أو الحقيقة، دون تحديد سابق لأساليب وأصول وقواعد منظمة ومقصودة، أما المنهج العقلي التأملي فهو ذلك المنهج الذي يسير فيه

---

[1]- انظر في هذا الشأن و بإسهاب الاستاذ عبد الرحمان بدوي ، المرجع السابق،ص5-ص8.

العقل في نطاق أصول وقواعد منظمة ومرتبة ومقصودة، من أجل اكتشاف الحقيقة أو الحصول على المعرفة

كما انتقد هذا التقسيم الكلاسيكي كونه تناول وسائل الحصول على المعرفة، وليس على مناهج البحث العلمي، كمناهج علمية مستقلة و قائمة بذاتها .

- التصنيفات الحديثة لمناهج البحث العلمي:

تنوعت التصنيفات الحديثة لمناهج البحث العلمي و التي قد تطول او تقصر حسب الانتماء العلمي لواضعها ونوعية العلوم التي ساهمت كثيرا في الارتقاء ببعض الدراسات و البحوث و كذا أدوات البحث العلمي إلى مستوى المنهج و يمكن العودة إلى الكثير من المراجع في هذا المجال لأخذ بعض التصنيفات على سبيل المثال لنظهر مستوى التباين في الانتقال من مستوى بحث إلى مستوى منهج [1]:

- تقسيم هويتني:

يرى الأستاذ هويتني أن أهم المناهج العلمية هي :

أ المنهج الوصفي.

ب المنهج التاريخي.

ج المنهج التجريبي.

د البحث الفلسفي.

ه البحث التنبؤي.

و البحث الاجتماعي.

ن البحث الإبداعي.

2- تقسيم جود وسكيتس

[1]- و ماثيو جيدير، المرجع السابق،ص75-ص76.

أ المنهج التاريخي.

ب المنهج الوصفي.

ج منهج المسح الوصفي.

د المنهج التجريبي.

هـ منهج دراسة الحالة.

و منهج دراسات النمو والتطور.

و سنركز في دراستنا هذه على أهم المناهج الكبرى والأصلية المتفق عليها بين علماء المناهج و بالتحديد أكثر، المناهج الأكثر استعمالا في مجال العلوم الاجتماعية و القانونية ، وهي على التوالي :

1- المنهج الوصفي

2- المنهج المقارن

3- المنهج الاستدلالي

ثم نتعرض إلي بيان بعض أدوات البحث العلمي

– إشكالية تطبيق مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية

تختلف العلوم باختلاف طبيعة مواضيعها، وهنا يتجلى الاختلاف بين العلوم الطبيعية و العلوم الإنسانية والاجتماعية، فموضوع العلوم الطبيعية هو الطبيعة وهدفها الأساس هو البحث عن الثابت،أما العلوم الإنسانية فموضوعها الإنسان و السلوك الإنساني، وفي العلوم الطبيعية تفسر الظواهر تفسيرا كميا محكما، و يكون هذا التفسير بصيغة رياضية،أما العلوم الاجتماعية فإنها تحاول فهم تطور الظاهرة الاجتماعية و ذلك من خلال التفسير الكيفي[1]

[1]- ليندة لطاد،عايشة عباش و من معهم،منهجية البحث العلمي و تقنياته في العلوم الاجتماعية،المركز الديمقراطي العربي،المانيا،ص180.

لقد اثأر هذا الصراع التجريبيين عند إنكارهم لتطبيق مناهج البحث العلمي على العلوم الاجتماعية لما تتميز به الظاهرة الاجتماعية و هو ما يشكل عائق كبيرا في لإدراجها ضمن المواضيع التي تصلح دراستها بواسطة مناهج البحث العلمية و أهم هذه العوائق :

– الظاهرة الاجتماعية ظاهرة متغيرة و معقدة :

أن طبيعة مواضيع العلوم الطبيعية تجعل من الباحث في هذا المجال يدرس ظواهر تبدي درجة من الثبات رغم تغيرها و بالتالي يمكنه وصف التغييرات في هذه الظواهر و لا يحتاج إلى كشف الجوهر أو البحث عن ظواهر متشابهة لكي يحصل على نتيجة ما، أما الباحث في مجال العلوم الاجتماعية فيهتم بظواهر متغيرة لا تقوم على مبدأ وجود كيانات ثابتة ودائمة في هذا المجال الاجتماعي، فهي دائمة التغير و التحول كما أن الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية يتعاملون مع موضوعات تتعلق بالإنسان و سلوكه و هي دراسات قد تمس الفرد لوحده أو ضمن نطاق المجموعة و كذا سلوكيات المجموعات المختلفة مع بعضها ، و كلها تعد ظواهر معقدة و متغيرة باستمرار فلا يمكن التكهن بها و بالتالي الوصول إلى نتائج نهائية بشأنها ، كما أن نسبة الخطأ فيها تفوق تلك المقدرة في البحوث في مجال الطبيعة.

– الظاهرة الاجتماعية ظاهرة يصعب إقامة التجارب عليها

في مجال العلوم الطبيعية يستطيع الباحث و بكل سهولة القيام بمختلف التجارب في المخابر واستخدام مختلف المواد التي توصل إلى تجارب معينة، حيث يمكن إعادة التجربة في أية لحظة،و باستخدام المواد نفسها للتأكد من النتائج نفسها ، بخلاف الباحث في العلوم الاجتماعية الذي قد يعجز أمام صعوبة تكرار التجربة بنفس العينة و ضمن نفس الظروف و إن توافرت و هو أمر شبه مستحيل فالنتيجة لن تكون مطابقة لسابقتها .

إذن فأساس هذا العائق صعوبة وضع الظواهر الاجتماعية تحت ظروف الضبط والرقابة كما هو الحال في العلوم الطبيعية، فالباحث في العلوم الاجتماعية يدرس ويلاحظ الظاهرة قيد الدراسة في العالم الخارجي

وينتظر حدوث التغيرات، فمن الصعب الضبط التجريبي وعزل المتغيرات المتداخلة للظاهرة الاجتماعية والإنسانية مثل المادة التاريخية التي لا يمكن أن تخضع للتجريب، فلابد من الاعتماد على أقوال الآخرين و شهاداتهم وملاحظاتهم ؛لأن الباحث هنا لايتمكن من الاتصال المباشر بالمادة التاريخية.

– صعوبة تحديد المصطلحات و المفاهيم

تتميز مصطلحات و مفاهيم العلوم الاجتماعية بالمرونة و المطاطية و الغموض بالمقارنة مع نظيراتها في العلوم الطبيعية التي تتسم بالضبط و الدقة و الثبات و يعود السبب في ذلك لتغير الظاهرة الاجتماعية و تشابكها و كذا طريقة معالجة الظاهرة من منظور الباحث في حد ذاته و كلها أسباب تشكل عائق لوضع مفاهيم ثابتة للدراسة

- صعوبة تحقيق الموضوعية

إن الابتعاد عن التحيز والميول و الآراء الشخصية يعد أيضا من صعوبات العلوم الاجتماعية، فتحقيق الموضوعية في دراسة الظاهرة الاجتماعية بعيدا عن تحيز القائم بالبحث و الاندفاع بعواطفه و ميوله الشخصية في اتجاه معين، يعتبر من أهم عوائق دراسة الظاهرة الاجتماعية و هو ما ينتفي في العلوم الطبيعية ذلك أن الباحث و باعتباره يدرس سلوك الإنسان و الجماعة قد أصبح جزء من موضوع الدراسة قد يؤثر ويتأثر ويتفاعل مع الموضوع المدروس و هو ما يدفع عادة الباحث للاندفاع وراء ميولا ته الشخصية في عملية الفهم ، التحليل ، الاستنتاج و بالتالي الحياد عن الهدف المنشود من الدراسة وهو ما يؤثر في مصداقية العمل البحثي.